الضاد ... مخرجه وصوته ...

م. م. أسراء جميل شريف العاني
قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات – جامعة الأنبار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن ، معجزة باقية على مدى الزمان ، وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد _ صلى الله عليه وسلم _ المؤيد بأعظم الدلائل والبيانات وعلى آله وصحبه التابعين لهم بإحسان ..

أما بعد ...

حظيت أصوات العربية قديما وحديثا عناية كبيرة من قبل العلماء في بيان صفاتها ومخارجها مما جعلها واضحة للدارس. وكانت من أوائل تلك الأصوات التي عنيت بالاهتمام والكلام من قبل علماء النحو واللغة (حرف الضاد) فهو من تلك الحروف التي ذكر العلماء صفاتها وبينوا مخارجها فقد بينوا مخرج الضاد بصورة تؤكد اضمحلاله من اللسان العربي اليوم(١).

فقد عرف بعضهم الضاد:

حرف مجهور مطبق مخرجه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس الا انك شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وان شئت من الجاني الأيسر.

كذلك قد عرف البعض الأخر الضاد: حرفا أسنانيا لثويا أي انه يخرج من الأسنان مع اللثة، واعتبر (الخليل بن احمد الفراهيدي) حرف الضاد شجريا لان مبدأه من شطر الفم وذلك حسب جعله مخارج الأصوات ثمانية(٢).

أما سيبويه فانه يعد المخارج ستة عشر مخرجا ، وجعل الضاد في النقيطة السابعة حيث قال:

(إنها تخرج من بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس) وكلما تقدم فان الضاد من الأسنان واللثة صوته فهو حسب نطقنا لها الآن تعد المقابل المفخم للدال ، أي إنها صوت شديد محصور مفخم ، ينطق بنفس الطريقة التي ينطق بها الدال مع فارق واحد ، هو ارتفاع مؤخرة اللسان نحو الطبق في النطق بصوت الضاد وعلى هذا فالضاد العربية هي المقابل المطبق للدال(٣).

أما (المقدسي) فقد عدَّ الضاد في صفاتها حيث قال:

وأما صفاتها ، فمنها الجهر

وهو اصطلاحا : حبس النفس عند اللفظ بالحرف لقوة الاعتماد عليه.

---

(١) أصوات العربية بين التحول والثبات/ ٥١.

(٢) مدخل الى علم اللغة/ ٦٢-٦٣.

(٣) مدخل الى علم اللغة/ ٦٣.

ولغة : الإعلان.

وضده : الهمس . وهو اصطلاحا.

جرى النفس عند اللفظ بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج.

ولغة : الخفاء(١).

وقد عرف الضاد انه صوت ذلقي يشارك صوت الدال في المخرج وفي الحالة فكل منهم مجهور ولا تختلفان إلا في التفخيم والترقيق فالضاد صوت مفخم والدال مرقق.

وبعد ما تقدم من التعاريف نستطيع أن نقول إن مخرج الضاد اليوم يختلف في بعض البلاد العربية الأخرى.

فهناك اتفاق إذا بان مخرج الضاد مما يلي الحلق في اتجاه الفم وإنها صوت أسناني يشترك طرف اللسان في توليده ثم هو في نظرهم صوت رخو جانبي (كاللام) وان الهواء تارة يتسرب من الجانب الأيسر وتارة من الجانب الأيمن وتارة منهما معا ، فكأن فيه شيء من رخاوة اللام وهو صوت مجهور ولاشك أن النطق بهذا الحرف صعبا على الأعاجم(٢).

وبذا فان هذا الوصف ينطبق إلى حد ما على الضاد التي ينطق بها أهل اليمن والعراق والخليج العربي وبعض المناطق في المملكة فهم ينطقوها قريبة من الظاء.

ويمكن القول بان الضاد قد خرج من الألسن العربية المعاصرة واضمحل منها ، فتمول إلى ظاء عند قوم والى دال عند آخرين ، فوصف الضاد في بعض الدراسات انه أدنى فكي او انه سني مطبق انفجاري(٣).

أما (ابن جني) فقد ذكر في مخرج الضاد بأنه من الحروف المطبقة ، والأطباق : أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له ، وأوضح معنى الأطباق عنده يتصل بظهر اللسان والحنك الأعلى.

وقد وصف بعض المحدثين هذا التحديد بأنه بعيد عن الوضوح وهو حقا كذلك فلو وقفنا عند عبارة (ابن جني) فإنها لم توضح المراد بالإطباق على وجه الدقة.

وقد فصل (سيبويه) الكلام عن الأطباق فقال :(هذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذي الحنك الأعلى من اللسان فإذا وضعت اللسان والصوت مجهور بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف)(٤).

أما (د. إبراهيم أنيس) فيقول :(عند النطق بالضاد ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذا شكل مقعر كما ويرجع إلى الوراء قليلا(٥) ، فلنفسر الأطباق بأنه إسهام طبق اللسان وان شئت أظهره من أقصاه وأدناه في إخراج الحرف.

---

(١) مجلة الضاد/١٨٨.

(٢) الأصوات العربية/٤٤-٤٥.

(٣) دراسات في اللغتين السريانية والعربية/ ٣٠٨.

(٤) الدراسة اللهجية والصوتية/٣١٨.

(٥) الأصوات اللغوية/٤٩.

فالضاد صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان ، ثم يحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصوات الثنايا العليا فإذا انفصل اللسان من أصوات الثنايا انفجاريا هو الضاد.

بعد العرض المختصر لمخرج الضاد الذي ورد في الأوراق السابقة ، بقى لنا أن نعرف (صوت الضاد) وموقع هذا الصوت من حيث الاستحسان وغير الاستحسان في أن الأصوات الإنسانية تعبر عن الأفكار داخل امة من الأمم فبهذا عبر (ابن جني) في تعريف اللغة:

(أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(١) ، ومنها قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم)(٢) والحقيقة ما يهمنا من هذا كله هو موقع صوت الضاد حسب تقسيم (سيبويه) الأصوات العربية حيث ذكر: (خمسة وثلاثين حرفا فروع من اصل تسعة وعشرين وهي حروف مستحسنة واثنين وأربعين حرفا وقد ذكر غير المستحسن في قراءة القرآن)(٣).

وقد ذكر أن الضاد الفصيحة خرج من مجموعة أصوات العربية المستعملة اليوم فلم يعد له وجود في نطق احد العرب. حيث يمكن القول أن الضاد صوت خرج من الألسن العربية اليوم واضمحل منها فتحول إلى ظاء عند قوم والى دال مفخمة عند آخرين.

فعلى ما تقدم أن حرف الضاد مبني على نطق بعض العرب لا جميعهم ، وهذا الصوت المجهور ليس من السهل العودة إليه ذلك أن الصوت الذي استبدل به غيره يصير اشق الأصوات الغربية على النظام وأعسرها على من يريد النطق ، ومن الملحوظ أن هذا الصوت لا يجري على لسان احد من العرب اليوم على العكس من بقية الأصوات التي لا تزال حية على السنة العرب في الفصيح ولو رجعنا إلى الكلام عند ابن الجزري لوجدنا الأصوات التي حذر الإتيان بها في نطق الضاد مسموعة في أيامنا ضمن ذلك قول: (فمنهم من يخرجه ظاء كما في نطقه في العراق وفي الجزيرة وبعض المناطق الشمالية من المغرب ، وما جاورها)(٤).

أما (ألمقدسي) فقد شرع في تفسير المصطلحات التي تطلق على صوت الضاد ، أمثال: المجهور ، الرخاوة ، الشدة ، الاستعلاء ، ألصتم ، المصمتة.

المصمت ، والإصمات قال: (ومنها الإصمات ، والمصمتة حروف لا تنفرد في كلمة رباعية او خماسية ، كأنهم لم يجعلوها منطوقا بها أصمتوها ، أي جعلوها صامتة ، أو أصمت المتكلمون)(٥) وهذه الحروف الصوامت ، (المصمتة) تعرف أيضا بالحروف السواكن (SONSONANTS).

---

(١) الأصوات اللغوية/٥٠.

(٢) سورة ابراهيم اية/٤.

(٣) اصوات العربية بين التحول والثبات/٥٢.

(٤) اصوات العربية بين التحول والثبات/٥٣.

(٥) مجلة الضاد/١٨٩-١٩٠.

وهذا المصطلح (الإصمات ، المصمتة) مصطلح ورد عند الخليل ابن احمد الفراهيدي _ت_ ١٧٥هـ_ بعنوان آخر هو (الصتم) يريد به (المصمتة ، الحروف المصمتة) كما ذهب إليه (أبي منصور الأزهري) ، ثم ذكره علماء اللغة أمثال (ابن جني ، الزمخشري ، الرضي) وغيرهم.

ثم بسط كلامه في إيضاح المصطلحات الأخرى أمثال: الإطباق ، التفخيم ، الترقيق ، الأصالة ، الشجرية ، التفشي ، التفتح ، الامتداد. فذكر هذه المصطلحات مع أضدادها الوصفية.

ثم جاء (المقدسي) بحصيلة صوتية ذات نظر أجملها بشيء من المعرفة والشمول حيث دعم مذهبه بما يدل بالمعقول على أن اللفظ صوت الضاد كالظاء المعجمة(١).

ودعم كلامه هذا من القول المستقرأ من بحوث أهل العربية وعلماء القراءات.

ويمكن القول أن صوت الضاد قد طرأ عليه العديد من للتحولات والتغيرات فمثلا نراه ينطق اليوم في العراق وبعض البلاد العربية (ظاء أما في مصر وغيرها من البلدان فالضاد عندهم دالاً مفخمة أو هي حرف من مخرج الدال مجهور مطبق شديد وهو يخالف القديمة في مخرجها وفي صفة الشدة فيها).

وقد ذكر (ابن الجزري) قوله: ومنهم من يخرجه (لاماً مفخمة) ينطق الضاد لاماً مفخمة.

وقوله ومن يتجه بالرأي نحو قول العجم:

التيمم زربتان ، زربة للوجه وزربة لليد ، يريد أن يقول التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدان ويسمع عند أهل (مصر) اليول بدل من صوت الظاء لا الضاد إلا في ألفاظ قليلة مثل كلمة (مزبوط).

أما قول ابن الجزري (ومنهم من يخرجه بالذال ، المعجمة كما ورد في المطبوع ، ففي النفس منه شيء وذلك أن جعل الضاد ظاء ، أو لاماً مفخمة أو اشمامة بالزاي فيه محافظه على الإطباق في الضاد ، فالظاء مطبقة واللام مفخمة مطبقة ، وإنما يأتي تفخيمها من ارتفاع وسط اللسان بها نحو الفم أو اشمامة الزاي يعني الحفاظ صفتي الجهر والإطباق فيه)(٢).

فلو وافقنا ما ورد في المطبوع من قوله يمزجه بالذال لآل إلى ذلك إلى ظاء ، وهو تكرار لا فائدة منه لأن الذال إذا ادخلها الإطباق فهي الظاء.

اذ الظاء هو النظير المطبق للذال ولا يكون معنا لما ذكره حينئذ لذا يتراجع انه أراد الدال المهملة وبذلك يؤول صوت الضاد الفصيحة إلى الدال المطبقة أي الضاد المصرية الحديثة. وهي شائعة اليوم في نطقهم أي قي نطق الضاد الفصيحة(٣).

ومن هذا الكلام يتضح لنا أن ما شبه إليه ابن الجزري من مرج الضاد الفصيحة بالدال حتى تخرج دالا مطبقة دل هذا على وجود صوت الضاد المصرية الحديثة على أيامه لنطق الضاد الفصيحة كما دل انه ليس صوت الطاء كما ذهب

(١) مجلة الضاد/١٩١.

(٢) اصوات العربية بين التحول والثبات/٥١-٥٢.

(٣) اصوات العربية بين التحول والثبات/٥٢.

إليه (د. إبراهيم أنيس)(١) من أن الطاء القديمة كانت بصوت الضاد المصرية الحديثة ذلك أن الضاد المصرية أو الدال المطبقة انحراف في نطق الضاد الفصيحة ولو كانت الطاء تنطق دالا مطبقة لقال عن هذا النوع من الانحراف في نطق الضاد ومنهم من يخرجه طاء يقوي ذلك ، اعني وجود نطق الضاد الفصيحة بالضاد المصرية الحديثة . أي الدال المطبقة.

أما ما ذكره (ابن سينا) في كلامه على الضاد وهو يذكر مخارج الحروف على ما كان يتذوقه لا على ما ورد عند العلماء العرب كما يبدو ذلك من كلامه على المخارج حيث قال:

(أما الضاد فإنها تحدث عن حبس تام عند تقدم موضع الجيم)(٢) ، ومعلوم أن علماء العربية يصفون الضاد الفصيحة على إنها حرف رخو ، أي انه لا يحدث معه حبس تام وان المحدثين هم اللذين وضعوا الضاد بأنها صوت انفجاري أي ناجم عن حبس تام بناءا على نطق الصوت عند المصريين.

اما ما ذكره (د. حسام النعيمي) على لسان (ابن جني) في إبدال ضادا وذلك في ما حكاه:

(أبو علي خلف من قولهم: التقطت النوى ، واستقطته ، وضتقطته ، فجمع التاء مع الضاد في اختففطته ، دليل على إرادة اللام في التقطته وان هذه الضاد بدل من تلك اللام ، كما ان لام الطجع بدل من ضاد اضطجع)(٣).

وفي إبدال الضاد لاماً جنوح إلى الخفة وهرب من ثقل الضاد ولكن كيف ساغ لهذا أن يبل اللام ضادا فيأتي بلفظه لا تكاد تجري على اللسان الا بتكلف.

اما الذي يبدو في هذا انه ليس استقط من التقط ، بل هما أصلان احدهما من الفعل ستط والآخر من السقط ، وصيغة افتعل فيهما قد جاءت هنا بالمعنى (الاجتهاد والاضطراب في تحصيل اصل الفعل)(٤).

فيكون: استقطت النوى ، أي: اجتهدت في تحصيل ما سقط منه ، والتقطته: اجتهدت في تحصيل ما يلقط منه ، وقد ذكر أن افتعل تكون متعدية وغير متعدية.

ذكر إذا تم لفظ هذه قلنا لا يبعد أن يكون الذي عليه (خلف) ق صحف الصاد ضاداً ، ولا شك ان اصطقت النوى اخف على اللسان من اضتقطته.

أما من ناحية إبدال صوت الضاد فقد ذكر أبو علي النحوي في دراسته:

انه يمكن أبال صوت الضاد طاء أو صاداً ، فبما أن الطاء والصاد مجموعة الأصوات الأسنانية اللثوية أي من فصيلة متقاربة لصوت الضاد لان الصوت بين الشدة والرخاوة مجهور مطبق مهموساً ، والطاء متقاربة لهما. من هنا يكون الإبدال بينهما واقعا طبيعيا قياسا واستعمالا(٥).

(١) الأصوات اللغوية/٥٠.

(٢) أصوات اللغة العربية بين التحول والثبات/٢٥.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية/١٥٥

(٤) الدراسات اللهجية مؤلف/١٥٥-١٥٦.

(٥) أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات/١٦٣.

كما وقد أضاف إلى معلوماتنا (أبو علي النحوي) بان صوت الضاد لا يدغم فيما قاربه ويدغم ما قاربه فيه فهو لا يدغم في الأصوات التي هي انقص صوتا فيه ومن الغريب أن _ أبو علي النحوي _ لم يذكر لنا مثالا يوضح فيه ما قد ذكره من عدم إدغام الضاد.(١).

وأخيرا فان صوت الضاد صوت ذلقي لثوي أسناني هذا الصوت يشارك صوت الدال في المخرج وفي الحالة فكل منهما مجهور ولا يختلفان إلا في الإطباق (٢).

وعلى هذا فان هناك اتفاق انه صوت أسناني يشترك طرف اللسان في توليده ثم هو في نظرهم صوت رخوي جانبي ، وهو صوت مجهور ولا شك أن النطق بهذا فيه شيء من الصعوبة(٣).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- أبو علي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية. د. علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة _ ط١_ ١٩٨٧م.

٢- الأصوات العربية بين التحول والثبات. د. حسام النعيمي. بيت الحكمة.

٣- الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشين ، سعد الغريبي ، مكة_ العزيزية _ط١_ ١٤٠٦ هـ_١٩٨٦م.

٤-الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ، ط٢ ، دار النهضة ، القاهرة ١٩٦١م.

٥-دراسات في اللغتين السريانية والعربية، د. إبراهيم السامرائي، دار الجبل، عمان،ط١ ، ١٤٠٥هـ _ ١٩٨٠م.

٦- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي، العراق، دار الرشيد، طبعة بيروت _ ١٩٨٠م.

٧-علم الأصوات العام ، أصوات اللغة العربية _ بسام بركة ، مركز الإنماء القومي _ بيروت.

٨- مجلة الضاد تصدرها الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية ، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م ، رئيس التحرير: د. احمد مطلوب.

٩- مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د. رمضان عبد التواب ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط٢ ، ١٤٠٥ _ ١٩٨٥م.

١٠- المأثور من اللغة ما اتفق لفظه واختلف معناه ، ابن العمثل . عبد القادر احمد ، ١٤٠٨هـ _ ١٩٨٨م ، مكتبة النهضة.

(١) ابو علي النحوي وجهوده في الدراسات/٢٠٧.

(٢) الاصوات العربية/٤٥-٤٦.

(٣) علم الاصوات العام/٢١٦ ، المأثور من اللغة/٦٥.